

المعيب في فتوى المعبي



د. وداد البرغوثي / رام الله

حولك، أي أن الله يحذر نبيه من الفظاظه وغلظة القلب. فما بال هذا المعبي الذي لا يدنو من النبي بشيء، أن يفتي بهذه الفظاظه وغلظة القلب ولا ينفذ أحد من حوله. هل بعد هذا فظاظه وغلظة قلب؟ لا سامحني الله إذا تجنبت على أحد.

وأن اخذ العمل اسلوب (الراوي المحايد)، إذ نستشف إنحياز القاص من انفعاله الواضح، ويغطي الحور البسيطة ذات المعنى والمدلول المباشر.

- في نتاج باعامر شيء من (حنا مينه)، (يوسف أدريس) (ماركيز) (زيد دماج)... وغير هؤلاء بطبيعة الحال، ولكن يظل تأثيره شيئاً ثانوياً إذا ما قيس بإمكانات استقلاليتها. ختاماً.. مهما قررنا فإن ما لا نستطيع إنكاره، أو تجاهله هو خطوة الإقدام الهامة التي خطاها صالح باعامر باتجاه بلاط صاحبه الجلال الإبداعي (الرواية) التي تشكل بحق مضمار رهان عصري ذا خصائص عصرية يصعب تطويعها.. وإذا كان قد أضاف -كما ذكرنا- شيئاً للرواية من مستواها المحلي اليمني، فهل بإمكانه مستقبلاً أن يتجاوز؟.. ونترك يتجاوز هذه مفتوحة.. سؤال جديرة الأيام اللاحقة بالإجابة عليه).

هوامش:

- 1- للإطلاع على هذه الرواية أنظر مجلة (الثقافة الجديدة) اليمنية، العدد الرابع (يوليو 1992) عدد خاص عن الخطاب الروائي المعاصر في اليمن.
- 2- أنظر الكشف البيبلوغرافي الوارد في مجلة (الثقافة الجديدة) اليمنية نفس المرجع الأنف الذكر.
- 3- مجلة (الثقافة) اليمنية العدد (11)، أغسطس/سبتمبر 1994م.
- 4- مجموعة (حلم الأم اليمنى) صدرت عن دائرة التأليف والنشر، وزارة الثقافة والسياحة، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) العام 1983م، المجموعة ص 21، ص 35 على التوالي.
- 5- أنظر مثلاً قصتي (الهروب من الوحل) و (جثة تتقاد فيها الأمواج) المجموعة ص 21 ص 35 على التوالي.
- 6- قصة (رسالة) المجموعة ص 105.
- 7- قصة مجموعة (دهوم المشقاضي) من إصدارات (وزارة الثقافة والسياحة) بالجمهورية اليمنية (مؤسسة 14 أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر العام 1991م).
- 8- يمكنك استخلاص تلك المعاني من القصص: (أصدقاء البحر) في مجموعة (حلم الأم اليمنى).. (دهوم المشقاضي)، (لغة الأمواج)، (العيب العيب) من مجموعة (دهوم المشقاضي).. وذلك على سبيل المثال لا الحصر.
- 9- ستجد نفس تلك المعاني فيما ورد من قصص في الحاشية (8) وغيرها في أماكن أخرى مثل (حلم الأم اليمنى) و(الهروب من الوحل) من مجموعة (حلم الأم اليمنى).
- 10- يرد هذا المعنى في العديد من قصص المجموعتين، على سبيل المثال أنظر قصتي (حلم الأم اليمنى) و(لغة الأمواج).
- 11- رواية (الصمصام) - شركة مطابع الكوبري (الأردن) يونيو 1993م.

هي ضمن ثقافة الإسلام؟ هل هي ضمن ثقافة العرب؟ هل هي ضمن أعرافنا وقيمنا؟ هل هذا من أخلاقياتنا؟ أتق الله أيها المعبي في إفتائك المعيب.

كل الفتاوى السابقة، رغم أن عليها ما عليها، لكنها عقود بين أناس بالغين. أما هذه الفتوى على طفلة عمرها عام و"التلفظ" معها وانتظارها لتكمل عمها التاسع. ماذا يختلف هذا عن وأد البنات؟ في الواد تموت دون أن ينتهك عرضها، أما في الزوج على الطريقة (المعبي) فهي تموت مادياً ومعنوياً جراء انتهاك عرضها، قال تعالى في مخاطبة النبي محمد: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

استنكار. فهو يجيز العقد على رضية، حتى لو كان عمرها عاماً على أن ينتظر حتى تبلغ التاسعة من عمرها للبناء بها.

أي شرع هذا وأية شريعة؟ هذا إطلاقاً ليس شريعة الله، لكنها شريعة الغاب التي أرادها المعبي. تشريع المعبي هذا معيب والله، ومعيب أكثر لأنه تسكت على من يعيث بشرعها فساداً. لهذا الدرك الأسفل تنزل بالشرع؟ هل تصبح "خير أمة أخرجت للناس" أضحوكة لكل الناس؟

الشرع والتشريع أمانة في عنق قادة الأمة وساستها وعلمائها، فكيف يمكن العيب بها إلى هذا الحد من الإسفاف؟ ثقافة من هذه؟ هل



وذكرت مقدمة البرنامج أن للمعبي فتاوى كثيرة أثارت جدلاً كبيراً مثل زواج المسيار وزواج الونس وزواج الإنجاب.. وفتاوى كثيرة ضقت ذرعاً من مجرد سماعها، وكأن لا هم للمعبي إلا البحث عن طرائق لتفريغ الشحنات الجنسية، بما فيها الشاذة لدى الرجال وقولية شرع الله ليستوعبها في أي زمان وأي مكان يرغب فيه الرجل التفتيس عن مجونه أو جنونه.

ما كنت أرغب والله في خوض مثل هذه الأمور، وكان يمكن أن أتركها لذوي الشأن والاختصاص. لكن مبررات فتوى الزواج برضية أو مجرد تحيّل ذلك يثير الاشمئزاز والقرف ويُطلق الصم والبكم ولو بصرخة

قرأت بعض الأشعار، كان كثير منها يتعلق بامرأة تخون وأخرى لا تخون، وشحذت قلبي لأنك حول الموضوع، ولأؤكد أن الخيانة صفة مثل الوفاء والإخلاص، لا يمكن أن نقول هذه المرأة خائنة لأنها امرأة ولا هذا الرجل مخلص لأنه رجل. إنها صفات محايدة كالجمال والقبح، كالرفقة والخشونة، كالغنى والفقر.. الخ، ولا يمكن أن تكون منقسمة جنسياً، كأن نقول أن هذه صفة للذكور وتلك للإناث. وكنت أعد أفكاراً على نار هادئة، حتى جاء برنامج على قناة LBC الفضائية يتحدث عن إحدى فتاوى الشيخ السعودي المأذون الشرعي أحمد المعبي وهي فتواه بجواز الزواج من رضية.

إضافات باعامر.. تتمه من ص ٧

ووالده ومحبته لـ (حسنا) وأحداث معظم الرواية ثانوية ورئيسية.

استرجاع مطول لمسار حياة الصديقين وخاصة السحيم ووالده ومحبته لـ "الحسنا" وأحداث معظم الرواية ثانوية ورئيسية. (الفواصل من 3 إلى 23)

(الفواصل 23 - 26) العودة إلى البدء ومتابعة التأهب للرحيل بعد أن نجح السحيم في اقتناع أبيه بإتاحة الفرصة له في العمل في البحر.

1- بيان السياق الاسترجاعي للرواية تتخذ الرواية سيقاً أفقياً لا تتخلله انحناءات فخلا بعض الأحداث العرضية التي تأتي في السياق السري المتعاقب- مثل مأساة صراع (أبي سويلم) للنجاة من العاصفة البحرية الذي أنهى بموته، وتلك (أبي السحيم) في زواجه والتوتر الذي صاحب علاقتهما إثر ذلك بسبب عدم موافقة الأب على السماح لابنه بالعمل في البحر، عدا ذلك وبعض التفرعات العرضية المنفصلة، تمضي الرواية في أجواء اعتيادية لا تتقاطع فيها العناصر الشرطية الهامة للتكوين الروائي المتعارف عليه فنجد الشخص في حركتها وعلاقتها المشتركة دور في المستويات البيانية التالية:

1- شخص رئيسية:
السحيم • سويلم علاقة صداقة حميمة أحادية في الملح الفني الروائي (لاتوتر)

صفات وسلوك وهدف مشترك

السحيم • حسنا... علاقة حب وسام - زواج أحادية في الملح (توتر ضئيل لا يدوم ولا يترك أثراً)

إعجاب وتقدير ورضا- استمرار

السحيم • والده... علاقة حتمية مفروضة لأول مرة شيء من الثنائية في الملح الروائي لم يكتب لها الاستمرار فيزول التوتر بعد حين .

احترام يتأثر أحياناً باختلاف السلوك ومقاومة

الفرض الأبوي

السحيم • الشيخ الجامع علاقة احترام وإجلال..... ملح فني هام لتدعيم بقاء المستوى الأفقي للسياق

الحاجة إلى ترويض النفس والتشرب

الروحاني الديني

2- بيان علاقة الشخص الرئيسة وأثرها الفني في المسار الروائي

الذي مثل دور العامل الروحي المطمئن لنفسية السحيم أوقات الضيق والأزمات، ثم شخص آخر ثانوية شكلت دعائم ثابتة متواضعة للهيكل العام للرواية.

تلك باختصار شديد خلاصة سريعة للمشاهد العام التكويني لرواية (الصمصام)، أردت بها وضع القارئ في مدار وأجواء ما سيلحق من استقراء نقدي فاحص.

الشكل البنائي للرواية:

أول ما يلفت النظر في بنية الرواية هو ذلك التقسيم المسرف في وضع الفواصل الفخرية المرقمة (26 فصلاً) وقد تعمدت هنا تسميتها فواصل إذ لا يمكن اعتمادها (كنفصول) لقصرها، وضآلة مساحة الحدث وامتداد الزمن في كل فاصل على حدة وغير ذلك وأرى أن هذا الأمر وان كان لا يعيب كثيراً بنية النص الروائي، إلا أنه لا يجد له تبريراً معقولاً، وكان الأوفق الإقلال كثيراً من تلك الفواصل.

يلعب أسلوب الاسترجاع (الفلش باك FLASH BACK) دوراً هاماً في الرواية الحديثة، ويأتي في صور متعددة.. ولكن الأهم هو أن لا يقحم في البناء الروائي بصور قسرية، أو بصورة لا تخدم البناء الدرامي للرواية.

وفي رواية (الصمصام) نجد استخداماً استثنائياً لهذا اللون من التكنيك القصصي.. إذ بدأنا نقرأ الرواية بجزء يسير من خواتيمها، فما أن أكملنا الفاصلين (1 و2) حتى فوجئنا بنقلة استرجاعيه في معظم الفواصل اللاحقة، تعود بنا إلى مسار الشخص الأساس الحياتي، ولا تنتهي إلا قرب نهاية الرواية (الفواصل 26-23) ويستشعر القارئ من أول وهلة، أن الراوي سرعان ما سيعود بنا إلى سياق الأحداث المعلن عنها في البدء.. ولكن هيهات، ويمكننا أن نتجاوز ذلك الانخداع لو أن الراوي- مثلاً- أطل في استكمال أحداث أخرى تتعلق بموضوع الاستعداد والتأهب للرحيل عبر البحر، أو توتر الأحداث التي قد تنتهي لنا من ركوب البحر ومغامرات البحارة.. الخ، ولكن لا شيء من ذلك تم، وكانت مفاجأة لم تكن بالحسبان.. على أن الرواية حفلت أيضاً باسترجاعات أخرى ثانوية خدمت النص بوضوح ولكن الاسترجاع الرئيس الذي اشرنا إليه كان إذ لو لم ينتبه القارئ سيجد نفسه أمام نهاية لاتين كثيراً السياق الأساس.. بالرغم من الإيحاء الجميل الذي تزفه إلينا النهاية المفتوحة للرواية.

(الفاصلان ١، ٢)

استعداد الصديقين السحيم وسويلم للرحيل في الصباح الباكر وتوديعهما للبلدة وأهلها وزوجتيهما على وجه استرجاع مطول لمسار حياة الصديقين وخاصة السحيم